

قراءة في موقف الإسلام من الشعر

Reading in islam's position on poetry

جلال مصطفىاوي¹

جامعة عين تموشنت

zourba1976@live.fr

تاريخ الوصول 2021/02/06 القبول 2021/11/18 النشر على الخط 2022/05/10

Received 06/02/2021 Accepted 18/11/2021 Published online 10/05/2022

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى مساءلة موقف الإسلام من الشعر، وعلاقته بنقد الشعر في العصر الإسلامي، وغني عن البيان أن الموقف من الشعر شيء، ونقد الشعر شيء آخر، فالأول ذو طابع ديني يُعبر عنه بمصطلح الحلال والحرام، أما الثاني فيمثل موقفا جماليا قوامه التأثير الإيجابي أو السلبي في وجدان المتلقي أو القارئ. فما موقف الإسلام من الشعر والشعراء؟ وما تأثير ذلك على نقد الشعر خاصة ونقد الأدب عامة في العصر الإسلامي؟. صفة ما خلصت إليه الدراسة هو أن ما حرص عليه الإسلام ونادى به، هو إخضاع الموقف الجمالي للموقف الديني، ويظهر ذلك جليا في تحليل ما جاء في القرآن الكريم في الشعر والشعراء، وفي موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وفي موقف الصحابة رضوان الله عليهم.

الكلمات المفتاحية: الموقف، الأدب الإسلامي، الشعر، المعيار الأخلاقي، الجمالية.

Abstract:

This paper aims to question Islam's position on poetry and its relationship with criticism of poetry in the Islamic era. It goes without saying that the attitude towards poetry is one thing, and criticism of poetry is something else. The former has a religious character expressed in terms of permissible and forbidden, while the latter represents an aesthetic position whose strength is in its positive or negative influence in the consciousness of the recipient or the reader. What is the position of Islam towards poetry and poets? What is the effect of that on criticism of poetry in particular and criticism of literature in general in the Islamic era? The core of what the study concluded is that what Islam was keen on and advocated for is the subjection of the aesthetic position to the religious position, and this is evident in the analysis of what came In the Holy Qur'an in poetry and poets, in the position of the Messenger, may God bless him and grant him peace, and in the position of the Companions, may God be pleased with them.

Keywords: the position, islamic literature. the poetry. ethical standard. Aesthetic.

1. مقدمة:

المراد بصدر الإسلام ، عصر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين من بعده أي : الفترة الزمنية الممتدة من ظهور الإسلام إلى قيام الدولة الأموية، سنة 41 هـ.

وإذا كان الإسلام حدثاً هائلاً ، وانقلاباً شاملاً ، في مناحي الحياة الروحية، والعقلية، والاجتماعية، والإنسانية، فإنّ ما يهمنا هنا، هو تأثير هذا الانقلاب في النقد الأدبي .

ولعل أول ما يلاحظ، في هذا الصدد، هو أنّ نقد الشعر، والحكم له أو عليه، لم يكن في هذا العصر، مرتكزاً على موقف جمالي، أساسه الإحساس الجمالي، أو الانفعال العاطفي، وإنما كان ينظر إليه من مبدأ موافقته للشرع ، أو مخالفته له. بمعنى أن المسألة ليست نقد الشعر بقدر ما هي اتخاذ موقف صريح منه، وشتان ما بين الأمرين .

لذلك، من الأنسب هنا ، النظر في موقف الإسلام من الشعر، وتحديد موقف القرآن الكريم، وموقف الرسول، صلى الله عليه وسلم، وموقف الخلفاء الراشدين، من بعده .

2. موقف القرآن الكريم:

كان لا بد للقرآن الكريم أن يفصل في أمر الشعر والشعراء، ويحدد موقفه منهم بوضوح. قال الله عزّ وجل: وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)

يمكن أن نستخلص من هذه الآيات ، جملة من الحقائق ، منها :

○ إقرار القرآن الكريم بشاعرية الشعراء ، بصرف النظر عن دياناتهم ، وأهوائهم، ومشاربهم ، فإشراك الشاعر وعدم إسلامه، ليس مدعاة لنفي الشاعرية عنه .

○ وفي الآيات أيضاً، إشارة إلى طبيعة الشعر والشعراء ، فهناك صنفان من الشعر : أحدهما ينجح فيه الشاعر إلى الإفراط في الخيال، فيطلق العنان لشهوته، ويتخذ هواه مطية للافتراء على الله عزّ وجلّ، والإساءة إلى الإسلام والمسلمين، والتجني على الصدق والحق .

ويكتفي هذا النوع من الشعر، في تبرير وجوده، بالتعبير عن القيم الجمالية جاعلاً منها هدفه الأسمى .

بمعنى أنّ اهتمامه ينصبّ ، في المقام الأول، على الشكل والأسلوب، على حساب تحري الحق . وهذا الصنف من الشعر، هو الذي شدد القرآن الكريم في النهي عن اتباعه لما ينطوي عليه من غواية وضلال .

○ في الاستثناء الوارد في هذه الآيات، دلالة واضحة على أنّ القرآن الكريم لم يقف من الشعر - من حيث هو شعر - موقفاً عدائياً، إذ تتحدث الآيات عن شعراء مخصوصين ، لم يألوا جهداً في محاربة الله ورسوله ، عليه الصلاة والسلام، بكل ما أوتوا من قوة الفعل والقول، فهؤلاء هم المخصوصون بالذم ، في هذه الآيات . يقول محمد قطب : " إنّ الآيات التي وجهت لشعراء العرب، في الجاهلية، لم توجه ضد الشعر في ذاته، ولا وجهت ضد الشعراء على إطلاقهم، وإنما ضد نوع معين من الشعراء ."¹

¹ - منهج الفن الإسلامي : محمد قطب ، دار الشروق ، ط 6 - 1983 م، ص 147 .

والصنف الآخر : وهو مشروط بإيمان الشاعر، قلبا وقالبا ، برسالة الإسلام ووحيه، إيمانا يترجم على أرضية الواقع ، إلى صالح أعمال تعود بالخير والنفع على الأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء ، وبالثبات على هذا الإيمان بكثرة الذكر، لكونه أداة ناجعة في الحفاظ على هذا الإيمان ، وجعله في تجدد مستمر .

كل ذلك، يتم وفق منهج رباني ثابت ، وقائم على صراط مستقيم ، غير متبدل ولا متقلب بتقلب الأحوال الطارئة وتبدلها، فهو اتصال دائم بالله جلّ وعلا وتلقّ مستمرّ عن وحيه تعالى . خلافا للشعر الذي لا يدوم على حال يكون بها، فهو يميل حيث مالت الأهواء ، ويتقلب حيث تقلبت الأحوال .

ومن ثمّ استحدثت للشاعر الإسلامي وظيفة جديدة سامية ، هي المنافحة عن الدين الجديد ، والردّ على شعراء المشركين ، الذين ناصبوا الدين الجديد العداء .

3. موقف الرسول صلى الله عليه وسلم:

تجدر الإشارة، من البدء، إلى أنّ الله، سبحانه وتعالى، نفى الشعر عن رسوله الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، إذ قال تعالى: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69) ، وقال الحقّ عزّوجلّ أيضا: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ (41) ذلك لأنّ من الشعر ما يتنافى وطبيعة الرسالة والوحي الإلهي " فإنّ العرب كانت تظن بعقول الشعراء الظنون ، فيعتقدون بهم أحيانا ، ما يشبه الجنون ."¹

ومن ثم ، كان هذا النفي مسوغا ، لدى فريق من المسلمين ، للقول بأنّ الشعر أمر مذموم في الإسلام ، وعلى المسلم أن يربأ بنفسه عنه .

واستغلّ العديد من المستشرقين هذه الثغرة، ففتنوا فكرة مؤداها أنّ النبي، صلى الله عليه وسلم ، كان ، طيلة حياته ، على عداء مستحكم مع الشعر والشعراء ،² مستندين في ذلك، إلى جملة من الأحاديث الشريفة ، في هذا الباب، من قبيل قوله، عليه الصلاة والسلام : « لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا »³ ، وقوله، صلى الله عليه وسلم ، حين مرّ برجل ينشد شعرا : « خُذُوا الشَّيْطَانَ ، أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ »⁴ ، وما روي من : « أنّ النبي، صلى الله عليه وسلم ، حرّم سبعة أشياء : النوح، والشعر، والتصاوير، والتبرج، وجلود السباع، والذهب، والحرير . »⁵

فهذه الأحاديث الشريفة وما شابهها ، يوحى ، ظاهرها بدم الشعر وتبغيضه، ويوهم بأنّ هناك تعارضا بينها وبين الأحاديث الشريفة ، التي تستحسن الشعر، وتثني على قائله ، ولا تجد حرجا في الاستماع إليه ، والتمثل به .

¹ - أحاديث الشعر : الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي، تحقيق إحسان عبد المنان الجبالي، المكتبة الإسلامية ، عمان ، ط 1 - 1989 م ، ص 7 .

² - ينظر أصول الشعر العربي: ديفيد صمويل مرجليوث، ترجمة د. إبراهيم عوض، دار الفردوس، ط 2006 م، ص 13 .

³ - صحيح مسلم : الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيريّ التيسابوريّ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ، ط 2 - 2000 م ، ص 1001 .

⁴ - المصدر نفسه .

⁵ - أحاديث الشعر : عبد الواحد بن علي المقدسي، ص 92 .

والواقع أنّ نفي الشعر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، لا يؤدي بالضرورة إلى ذم الشعر بإطلاق، "ولو أنّ كون النبي، صلى الله عليه وسلم، غير شاعر غَضَّ من الشعر، لكانت أميته غَضًّا من الكتابة، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد".¹

وبقليل من التأمل، يتبين أنّ المراد من الشعر، في حديث: [لأنّ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قِيحًا.] تحديدًا، إنّما هو ذلك الشعر الذي يدعو إلى الرذيلة سرا وجهرا، ويزين الموبقات ويحيد عن تعاليم الإسلام وقيمه، ويدكي روح العصبية، مفرقا بين أبناء الأمة الواحدة وهو ذلك الشعر الذي يهيم صاحبه في كل واد، ويفتري على الله الكذب، ويقول ما لا يفعل، ويتبع في ذلك العصاة، وأصحاب الضلالة.²

ويصدق هذا أيضا، على حديث: [أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ]، (إشارة إلى الشاعر الذي كان ينشد شعرا). فالحديث الشريف - وإن سكت عن مضمون هذا الشعر الذي استحق قائله أن ينعت بالشیطان - إلا أنّه يحمل على الشعر المذكور آنفا. قال القرطبي، في تعليقه على هذا الحديث: "قال علماؤنا: وإنّما فعل النبي، صلى الله عليه وسلم، هذا مع الشاعر، لِمَا عَلِمَ من حاله، ولعل هذا الشاعر كان ممن قد عُرف من حاله أنه اتخذ الشعر طريقا للتكسب فيفطر في المدح إذا أعطي، وفي الهجو والذم إذا منع، فيؤذي الناس في أموالهم، وأعراضهم".³

ولعل ما يؤكد ذلك، كثرة الأحاديث الشريفة، التي تبيح الشعر، وتجزئ سماعه والتمثل به.

وهذا ما درج عليه السلف الصالح. قال أبو عمر: "ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم، ولا من أولي النهى، وليس أحد من كبار الصحابة، وأهل العلم، وموضع القدوة، إلا وقد قال الشعر، أو تمثل به، أو سمعه فرضيه، ما كان حكمة أو مباحا، ولم يكن فيه فحش ولا خنا، ولا لمسلم أذى. فإذا كان كذلك، فهو والمنثور من القول سواء، لا يحل سماعه، ولا قوله".⁴

وكل ذلك، اقتداء بنبي الله، صلى الله عليه وسلم، الذي كان "يحبّ هذا الشعر، ويستنشده، ويشيب عليه، ويمدحه، متى كان في حقه، ولم يعدل به إلى ضلالة، أو معصية".⁵

وعلى الرغم من أنّ النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يقل شعرا، إلا أنّه كان يتذوق الشعر ويتأثر به. فقد قال، عليه الصلاة والسلام، معبرا عن تأثره بأبيات (قتيلة) بنت الحارث، في رثاء أخيها (النضر)، الذي ناصب الإسلام العداء، وأسر في غزوة بدر، فأمر الرسول، صلى الله عليه وسلم، بهدر دمه، قال، صلى الله عليه وسلم: "لَوْ سَمِعْتُ شِعْرَهَا، قَبْلَ قَتْلِهِ، لَمَنْنْتُ عَلَيْهِ".⁶

⁶ إشارة منه، صلى الله عليه وسلم، إلى قولها:

يَا رَاكِبًا، إِنَّ الْأَثِيلَ مَظَنَّةٌ، مِنْ صُبْحِ حَامِسَةٍ، وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ.

¹ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ط 2004 م، 1 / 13.

² - ينظر قراءة في النقد القديم: د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 1 - 2010 م، ص 56.

³ - الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1 - 2006 م، 16 / 92.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ص 89.

⁵ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2005 م، ص 212.

⁶ - سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم: أبو محمد عبد الملك بن هشام، مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، 2 / 420.

أَبْلَغُ بِهَا مَيْتًا بِأَنَّ تَحِيَّةً،
 مَنِّي إِلَيْكَ، وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً،
 هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّصْرُ، إِنَّ نَادَيْتُهُ،
 أَمْحَمْدُ، يَا خَيْرَ ضِرٍّ كَرِيمَةٍ،
 مَا كَانَ ضَرْكَ، لَوْ مَنَنْتَ، وَرُبَّمَا
 أَوْ كُنْتُ قَابِلَ فِدْيَةٍ، فَلْيَنْفَقَنَّ،
 فَالْنَّصْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ قَرَابَةً،
 ظَلَّتْ سَيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ،
 صَبْرًا، يُقَادُ إِلَى الْمُنِيَّةِ، مُتَعَبًا،
 مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفِقُ .
 جَادَتْ بِوَاقِفِهَا، وَأُخْرَى تَخْنُقُ .
 أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ
 فِي قَوْمِهَا، وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
 مَنْ الْفَتَى، وَهُوَ الْمَغِيطُ، الْمَحْنَقُ ،
 بِأَعَزَّ مَا يَعْلُو بِهِ مَا يُنْفِقُ
 وَأَحَقُّهُمْ، إِنْ كَانَ عَتَقُ يُعْتَقُ
 لِلَّهِ أَرْحَامُ هُنَاكَ، تُشَقِّقُ .
 رَسَفَ الْمَقِيدَ، وَهُوَ عَانٍ، وَمُوثِقٌ¹.

وعن عمر بن زيد أنه قال : "رَدَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ ؟
 فَقُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : هِيَ . فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ : هِيَ، حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ "².

فالنبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قد استحسّن شعر أُميّة بن أبي الصلت، واستزاد من إنشاده، لما فيه من الحكمة، والإقرار بالوحدانية والبعث . ولم ينكر، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصحابة، رضي الله عنهم ، ما كانوا يتجاذبون من أطراف الحديث عن الجاهلية ، وما كانوا يتناشدونه من أشعارها، في حضرته، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فعن جابر بن سمرة، رضي الله عنه، قال : " جَالَسْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ، فَكَانَ أَصْحَابُهُ يَتَنَاشِدُونَ الشَّعْرَ، وَيَتَدَاكِرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَهُوَ سَاكِتٌ، فَرُبَّمَا تَبَسَّمَ مَعَهُمْ ."³ مما يعني إباحة قول الشعر وسماعه .

وعن أبي هريرة أنّ رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ : [أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ]"⁴ فالرسول، صلى الله عليه وسلم ، كان يدرك تماما، قيمة الشعر ومكانته، ويعي أهمية الدور الذي يؤديه في المجتمع العربي، ومن ثم، قال صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ سَجَّعَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ، بِهِ يُعْطَى السَّائِلُ ، وَبِهِ يُكْظَمُ الْعَيْطُ، وَبِهِ يُؤْتَى الْقَوْمُ فِي نَادِيهِمْ ."⁵

¹ - سيرة ابن هشام : 2 / 420 .

² - صحيح مسلم، ص 1000 .

³ - سنن الترمذي : الإمام الحافظ ابن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع - الرياض ، ط 2 - 2015 م ، ص 551 .

⁴ - سنن ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع - الرياض، ط 2 - 2015 م ، ص 577 .

⁵ - طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبُكِي، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار

وهكذا يكون الرسول الكريم ، قد وقف من الشعر موقف الموجه ، وبين ، في أكثر من مناسبة ، مواصفات الشعر المقبول ، والشعر المرفوض ، في ميزان الإسلام ، فقال : " إِنَّمَا الشَّعْرُ كَلَامٌ مُؤَلَّفٌ ، فَمَا وَافَقَ الْحَقَّ مِنْهُ ، فَهُوَ حَسَنٌ ، وَمَا لَمْ يُوَافِقِ الْحَقَّ مِنْهُ ، فَلَا خَيْرَ فِيهِ ."¹

وحدث ، صلى الله عليه وسلم ، على الالتزام بالشعر المقبول ، ونبذ غير المقبول ، فقال : " الشَّعْرُ فِيهِ كَلَامٌ حَسَنٌ وَقَبِيحٌ ، فَخُذِ الْحَسَنَ ، وَاتْرِكِ الْقَبِيحَ ."²

وبهذا ، يكون الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد وضع - بما أوتي من حكمة - أمام الشعراء ، المنهج الرباني الذي يسرون عليه ، ولم يهدر هذه الطاقة الشعرية ، بل أفاد منها في نصرة الدعوة الإسلامية ، وعدّها سلاحاً ماضياً في وجه المشركين والكفار . فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ : " إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا كَانَتْ عَنِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ."³

4. موقف الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - :

لقد سار الخلفاء الراشدون ، رضي الله عنهم ، على هدي النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونهجوا نهجه ، في فهم الشعر ، فميزوا بين شعر ضارّ ، طغت عليه نزعة الشرّ والفساد ، وشعر حسن ، يستهدف الحكمة والخير العام ، وموافقة الحق فهذا أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، يدي إعجابه بشعر النابغة ، ويفضله على سائر الشعراء ، جاعلاً منه " أشعر الناس ، وأحسنهم شعراً ، وأعذبهم بحراً ، وأبعدهم غوراً ."⁴

فهذه إشارة نقدية ، من الخليفة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، إلى تفوق النابغة في الموضوعات الشعرية ، ولاسيما المدح ، الذي يركز فيه على القيم والعادات والتقاليد العربية الأصيلة . دون أن يفوت الخليفة ، التنبيه على الناحية الفنية للشاعر ، حيث استطاع أن يجعل شعره ، مزيجاً من الطابع البدوي ، على ما فيه من غلظة وجفاء ، والطابع الحضري الذي يتميز برقة الألفاظ ، ودقة التصوير ، بحكم أن الشاعر كان يختلف إلى بلاط الملوك .

وهذا الخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، يطرب لبیت زهير بن أبي سلمى :

[وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ، وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ ، تُعْلَمُ] فيعلق عليه ، قائلاً : " أَحْسَنَ زُهَيْرٌ وَصَدَقَ ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ بَيْتًا فِي جَوْفِ بَيْتٍ ، لَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ ."⁵

تثير هذه الالتفاتة النقدية قضية الصدق والكذب في الفن عامة ، وفي الشعر خاصة ، وهي من القضايا النقدية ، التي كان لها الحظ الأوفر من النقاش على مدى العصور المتتالية ، وليس من اليسير الفصل فيها ، وحسبنا القول : إن الصدق ، في هذا العصر تحديداً ،

¹ - العمدة: ابن رشيقي ، 1 / 18 .

² - المصدر نفسه .

³ - الأغاني : الأصفهاني ، 4 / 110 .

⁴ - العمدة : ابن رشيقي ، 1 / 85 .

⁵ - الأغاني : الأصفهاني ، 10 / 239 .

جاء تعديلا للمقولة المشهورة : [أجود الشعر أكذبه] ، واستعاضة لها بمقولة : [أجود الشعر أصدق] ، يؤكد هذا قول حسان بن ثابت :

وَأَمَّا الشَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْزِضُهُ ، عَلَى الْمِجَالِسِ ، إِنَّ كَيْسًا وَإِنْ حُمًّا
وَإِنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ ، أَنْتَ قَائِلُهُ ، بَيْتٌ ، يُقَالُ - إِذَا أَنْشَدْتَهُ - : صَدَقًا¹.

من هذا المنظور، نجد أن الكذب كذب، سواء أبعناه الفني كان [الإفراط والمبالغة] ، أم بمعناه الأخلاقي [عدم مطابقة الواقع] . وهذا الخليفة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، يميل إلى تفضيل امرئ القيس، لأنه رآه أحسن نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ، ولا لرغبة².

فالإمام علي، رضي الله عنه، يعجب بشعر امرئ القيس، ويرجع مصدر إعجابه إلى أمرين : يكمن أحدهما في إبداع الشاعر، والإتيان بما لم يسبقه إليه غيره من الشعراء - كما هو معروف عنه - ويكمن الآخر في أن الشاعر يتمتع بقدر كبير من الحرية ، بمعنى أن شعره لا يخضع لبواعث الرغبة في العطاء وغيره ، كما لا يكون تحت ضغط الرهبة والخوف . وما دام كذلك ، فهو مهياً لأن يكون أقرب إلى الصدق والصواب .

أما الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه، فكان أكثر خبرة بالشعر، وأوسع إلماما بمواطن الحسن ومواطن الضعف فيه، وما فتئ يرسى دعائم المنهج الإسلامي في التعامل مع الشعر والشعراء . فكان حريصا على توجيه الشعراء نحو شعر ، يقوم على أساس عنصري الحق والصدق ، إلى جانب الجودة والإتقان في أسلوب الأداء، أو الصنعة الشعرية .

ولعل ما ساعده في ذلك ، معرفته الواسعة بأحوال العرب ، وولعه بالاستماع إلى الشعر . فضلا عن أنه كان راوية للشعر، جيّد الاستحضار له ، " ولا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر "3

مضى الخليفة عمر، رضي الله عنه، يشجع الشعراء بآرائه النقدية، ويحثهم على السير في الاتجاه الذي يتحرى فيه الشاعر الصدق وإصابة المعنى، وتجنب المبالغة .

وأول ما يصادفنا ، من آرائه النقدية ، رأيه في أهمية الشعر، ودعوة الناس إلى تعلمه ، إذ يقول : " تعلّموا الشعر ، فإنّ فيه محاسن تبتغي، ومساوئ تتقى "4.

ومن ذلك ما بعث به إلى موسى الأشعري، رضي الله عنه، قائلا : " مُرْ مَنْ قَبْلَكَ بتعلم الشعر، فإنّه يدلّ على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب "5.

¹ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : تحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط 1 - 2006 م، ص 183.

² - ينظر العمدة : ابن رشيقي ، 1 / 30 .

³ - البيان والتبيين : الجاحظ ، 1 / 241 .

⁴ - زهر الآداب وثمر الألباب : أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، شرح ألفاظه د. زكي مبارك، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، ط 3 - 1953 م، 1 / 28 .

⁵ - العمدة : ابن رشيقي ، 1 / 19 .

فهو بهذا الرأي ، يقف موقف المرشد والموجه إلى ما ينبغي أن يكون عليه الشعر الجيد، ويضع له مقاييس محددة ، تنسجم مع روح الإسلام ، وهي المقياس الأخلاقي، وصحة المعاني وصدقها ، والغاية التبليغية .

وفي ضوء هذه المقاييس، نجده يقدم النابغة على باقي الشعراء ، عندما سأل وفد غطفان : أيّ شعرائكم الذي يقول :

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا ، خَلَقًا ثِيَابِي ، عَلَى خَوْفٍ ، تُظَلُّ بِي الظُّنُونُ
فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا ، كَذَلِكَ ، كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ ؟

قالوا : النابغة . قال : فأَيّ شعرائكم الذي يقول :

حَلَقْتُ ، فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً ، وَلَيْسَ ، وَرَاءَ اللَّهِ ، لِلْمَرْءِ ، مَذْهَبٌ ؟

قالوا : النابغة . قال : فأَيّ شعرائكم الذي يقول :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ، وَإِنْ حَلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ ؟

قالوا : النابغة . قال : " هذا أشعر شعرائكم " ¹.

أما زهير بن أبي سلمى ، فانسجام شعره مع هذه المقاييس النقدية ، المتفقة مع الإسلام ، هو الذي جعله يحوز منزلة عليا ، عند عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه، حيث عدّه أشعر القوم.

فعن ابن عباس قال : قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمًا : " يَا بَنَ عَبَّاسَ ، أَلَسْتَ تُنْشِدُنِي لِشَاعِرِ الشُّعْرَاءِ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ أَمِيرُ الشُّعْرَاءِ ؟ قَالَ : زُهَيْرٌ . قُلْتُ : وَلَمْ صَيَّرْتَهُ شَاعِرَ الشُّعْرَاءِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ لَا يُعَاطِلُ الْكَلِمَتَيْنِ ، وَلَا يَمْدَحُ رَجُلًا بَعِيرَ مَا فِيهِ " ².
ندرك، من هذه الإشارة النقدية، مدى موضوعية عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في إصدار حكمه النقدي، مدعما إياه بذكر الأسباب والحجيات التي حملته على إصدار هذا الحكم . حيث يرى أنّ مذهب زهير، بعيد عن التعقيد، خال من الألفاظ الغريبة، ومعانيه صادقة، معتدلة، ولا أثر فيها للغلو والإفراط .

وبالمقابل، لا يتردد الفاروق - شأنه شأن سائر الخلفاء الراشدين - في الوقوف بالمرصاد للشعر الذي يسير في الاتجاه المعاكس للقيم الإسلامية، ومعاينة قائله، حتى يعودوا إلى جادة الصواب : كالهجاء المقذع مثلا، فهو عنده، نوع من القذف الذي حرمه الإسلام ، وعاقب عليه .

وغني عن البيان قصته مع الخطيئة ، حيث رفع إليه الزبرقان بن بدر شكوى مُفادها أنّ الخطيئة قد هجاء هجاء مقذعا، فما كان من الخليفة عمر، رضي الله عنه، إلا أن أمر بإيداعه الحبس، ولكن أدخل عليه بعدها ، فأنشده أبياته المؤثرة :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ ، بِذِي مَرَحٍ ، زُغِبِ الْخَوَاصِلِ ، لَا مَاءً ، وَ لَا شَجَرُ ؟
أَلَقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ ، فَاعْفِرْ ، عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ ، يَا عُمَرُ .
أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ ، أَلَقْتَ إِلَيْكَ ، مَقَالِيدَ النَّهْيِ ، الْبَشْرُ .

¹ - الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، 1 / 158 .

² - جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص

فاغرورت عيناه بالدموع ، وأمر بإطلاق سراحه على الفور .¹

5. خاتمة:

خلصنا في ضوء ما سبق بيانه أن الموقف من الشعر شيء، ونقد الشعر شيء آخر، فالأول ذو طابع ديني يُعبر عنه بمصطلح الحلال والحرام ، أما الثاني فيمثل موقفا جماليا قوامه التأثير الإيجابي أو السلبي في وجدان المتلقي أو القارئ. ثم إن ما حرص عليه الإسلام ونادى به، هو إخضاع الموقف الجمالي للموقف الديني، وإذا ما استثنينا الصبغة الجديدة ، التي اصطبغ بها النقد الأدبي ، في هذا العصر، [أعني نزوعه إلى التقيد بمبادئ الإسلام، ومحاولته إرساء معايير جديدة لجودة الشعر، أساسها المضمون في المقام الأول]، فإنه ، على العموم ، لا يختلف كثيرا ، عما كان عليه النقد الأدبي ، في العصر الجاهلي .

6. قائمة المراجع:

-القرآن الكريم.

- 1- الأصفهاني أبو الفرج ، الأغاني، تحقيق د . إحسان عباس / د . إبراهيم السعافين / أ . بكر عباس ، (بيروت: دار صادر، ط 3 ، 2008 م) .
- 2- بسيوني عبد الفتاح فيود، قراءة في النقد القديم (بيروت: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط 1، 2010).
- 3- الترمذي (الإمام الحافظ ابن عيسى بن سورة)، سنن الترمذي، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع ، ط 2، 2015 م).
- 4- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي ، ط 7 ، 1998م).
- 5- حسان بن ثابت الأنصاري، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق عبد الله سنده، (بيروت: دار المعرفة، ط 1، 2006 م).
- 6- ديفيد صمويل مرجليوث، أصول الشعر العربي، ترجمة إبراهيم عوض ، (القاهرة: دار الفردوس، 2006 م).
- 7- السُّبُكِي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلوة (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط 1، د . ت .).
- 8- الرافعي (مصطفى صادق)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت).
- 9- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار المعارف، د. ت) .
- 10- القرشي (أبو زيد محمد بن أبي الخطاب)، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق علي محمد البحراوي (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ت).

¹ - الأغاني : الأصفهاني ، 2 / 121 .

- 11- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة: مؤسسة الرسالة، ط1 ، 2006 م).
- 12- القشيري (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري)، صحيح مسلم (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ط2 ، 2000 م).
- 13- القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي (بيروت: المكتبة العصرية ، ط 2004 م).
- 14- القزويني (أبو عبد الله محمد بن يزيد)، سنن ابن ماجة، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع ، ط 2، 2015 م) .
- 15- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) سيرة النبي ، صلى الله عليه وسلم، مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار الفكر، د.ت) .